جامعة الانبار – كلية الآداب

المرحلة : الثانية

قسم: الجغرافية

اسم المادة باللغة العربية: الجغرافية الاجتماعية

اسم المادة باللغة الانكليزية: social geography

استاذ المادة: أ.م.د قيصر عبدالله احمد

عنوان المحاضرة باللغة العربية: نظم التصنيف الجنسي

عنوان المحاضرة باللغة الانكليزية:

The concept and development of social geography

المحاضرة الثالثة:

مفهوم وتطور الجغرافيا الاجتماعية

الجغرافيا الاجتماعية: وهي علما جغرافيا اجتماعيا انسانيا تاريخيا، يحاول أن يفسر تكوين المجتمعات البشرية كلها من أبسطها حتى أشدها تعقيدا.

أن المرء إذا استمع إلى الجغرافيين ليخيل اليه أن جميع العلوم الاجتماعية طوع أمرهم من خلال الربط بين الجغرافيا والمجتمع، وقد لفت دوركايم الانظار إلى ضرورة دراسة المجتمعات البشرية على أساس اجتماعي فإنه لا ريب فيه أنه لا يمكن فهم المجتمعات البشرية دون الأساس الجغرافي الذي نعيش عليه، إن علم المورفولوجيا الاجتماعية يوجه اهتمامه إلى المجتمع من حيث تكوينه، عدد سكانه وعلاقتهم بالبيئة، ولكنه يهتم أولاً بالمجتمع، ومنهج دراسته اجتماعي.

أما الجغرافية فهي تهتم أولا بالمكان أي البيئة وعلاقة الإنسان أو المجتمع بهذه البيئة إلى جانب المورفولوجيا الاجتماعية، نشأت في هذا الوقت أيضاً مدرسة جغرافية في فرنسا، لا تسلم بحتمية البيئة، ولا بطغيانها القاسي على الانسان والمجتمع، ولكنها تعترف بالحرية الانسانية، وتعطي للظروف البشرية والاجتماعية أهميتها في الاستجابة للظروف البيئية مؤسس الذي حيث وجه اهتمامه إلى هذه المدرسة هو فيدال ديلابلاش والتي تعرف بالمدرسة الإمكانية الجغرافيا، بعد أن أعد نفسه ليكون مؤرخا عام 1927، وقد بدأ بدراسة آثار همبولت وريتر وراتزل، ثم بدأ إصدار مجموعات حوليات جغرافية منذ عام 1891 وأشرف على إخراج جيل من الجغرافيين في مدرسة المعلمين العليا فالبيئة لم تعد مظهراً طبيعياً بل مظهر إنساني وهذا المظهر هو في الواقع المظهر الجغرافي، ولذلك يجب دراسته على أساس تاريخي، أي دراسة تطور هذا المظهر من حالته الطبيعية إلى حالته الإنسانية، وتحليل جهود الإنسان في علاقاته مع البيئة خلال التاريخ حتى انتهائها.

لذا يؤكد اصحاب هذه المدرسة على اهمية دور الانسان في التحكم بالبيئة وبشكل مطلق أي ان الانسان مخير وليس مسير بل هو المتصرف الوحيد بالطبيعة مما ادى الى ظهور مدارس اخرى تخالف افكار هذه المدرسة بشكل كبير ولديهم ادلة وبراهين يؤمنون بها لأثبات صحة افكارهم وآرائهم.

وهنا ظهرت لنا مدرسة اخرى تسمى بالمدرسة الحتمية ومن اهم رواد هذه المدرسة هي (مس سمبل) الباحثة الامريكية ، وهنا استخدم الحتميون فكرة تأثير عوامل البيئة الطبيعية على المظهر الجغرافي الحالي في محاولة تفسير صفات الشعوب وميولها الذهنية استخدام سيء، فقد كان من السهل أن يرجح أي باحث في تفسيره إلى آثر تلك العوامل ولا غرابة في أن تؤثر مظاهر البيئة الطبيعية في خيال الشاعر، أو أن يستوحي الفنان البيئة الطبيعية التي يعيش فيها آيات فنه، ولكن الإنسان أيضاً يحمل معه صفاته الذهنية التي اكتسبها في بيئته الأصلية وينقلها مهاجرا من وطنه مع قبيلته أو بمفرده.

كما أن الناس يختلف بعضهم عن بعض اختلافات لا نهاية لها، من حيث الطباع والميول النفسية، ومن ثم كانت البيئة الواحدة موطناً لعناصر شتى من السكان، ويختلف بعضهم عن البعض الآخر في الذوق والمزاج والطباع مما أدى إلى التنوع الحضاري، اكدت هذه المدرسة على قوة البيئية ومدى تأثيرها على الانسان مع ضعف قدراته وقلة حيلته فالطبيعة هي التي تتحكم بتصرفاته وتحد منها بشكل كبير فالإنسان ليس لديه القدرة للتحكم بنزول المطر واوقاته كما ان الرياح لا يمكن تغيير مسارها والظواهر الطبيعية الاخرى كالجبال والبحار وغيرها من المظاهر الاخرى.

ان افكار المدرسة الحتمية تكون غير مكتملة كما ان افكار المدرسة الامكانية ايضا غير صحيحة لذا ظهرت مدرسة اخرى تجمع بين افكار واراء المدرستين سميت بالمدرسة التوفيقية التي تؤكد إن عناصر البيئة متنوعة وإمكانياتها لا حصر لها والإنسان هو الذي يختار من هذه العناصر ما يناسبه ويستغله حسب طاقته الذهنية ومقدرته العقلية ومهارته اليدوية والآلية وبيئته الحضارية، وإن قوى الابتكار والمنطق والتفكير التي يمتاز بها الانسان لتربأ به أن يكون مجرد حيوان سلبي خاضع لظروف طبيعية وقدرة غاشمة، فإن الإنسان وحده يرجح أمر اختيار إحدى إمكانيات البيئة أو بعضها في وقت آخر، حسب ما أوتي من مهارة وما وصل إليه من مستوى حضاري وثقافي فإن البيئة تنطوي على إمكانيات عديدة وللإنسان حرية اختيار هذه الإمكانيات بقدر ما يستطيع فليس النهر يجبر الإنسان على استعماله في الملاحة أو في الري وليست الأرض الخصبة بدافعة للإنسان قسراً على الزراعة وليس وجود مناجم معدنية بدافعة له على

استعمالها إن العقبات الطبيعية لم تمنع الإنسان من التفكير في التغلب عليها فأقام الجسور وشق الأنفاق الجبلية وأقام مشاريع الري وقطع الغابات وحول السهوب إلى حقول قمح، وضبط مجاري الأنهار ونظم فيضاناتها وأضاف أنواعاً جديدة من النباتات المفيدة له لتلائم أجواء قاسية.

لذا ليس هناك تحكم من جانب واحد فلا البيئة تستأثر بالتأثير في الانسان ولا الانسان ينفرد في التأثير فيها، بل هناك تبادل تأثير قطبين متقابلين هما البيئة والإنسان، مما ادى الى ظهور المدرسة التوفيقية لتوفق بين المدارس الحتمية والامكانية، والأمثلة على ذلك عديدة فمصر ليست هبة النيل فحسب كما قال هيرودت، بل هي هبة النيل ونتيجة مجهود ساكن ضفاف النيل، ذلك الذي هذب مجراه وأقام جسوره منذ عصر ما قبل التأريخ، وبذلك أمن شر فيضاناته ونظم دورته الزراعية، لا بل أنه نظم توزيع مائة من القنوات والترع هذا الى أن المصري منذ عهد محمد علي قد حول الاقتصاد الزراعي التقليدي الذي يرجع إلى آلاف السنين من شتوية (قمح وبقول) إلى زراعة صيفية تعتمد على الري وحده ، وعلى توزيعه بحساب موقوت مضبوط. وهناك سهوب تركستان في أواسط آسيا موطن القرغيز والتركمان أي الرعاة التقليديين الذين وصفهم ديمولان في كتابه، أين هم الآن؟ لقد ثبتوا في قرى ثابتة وسكنوا المدن الصناعية وتحولوا إلى زراع قمح، بل واحتشدوا في مصانع الصلب والحديد في جمهوريتين تركمانستان وأذربيجان الحديثتين.

وللنظر إلى الصين واليابان، ظلت الأولى حتى وقت في حياتها التقليدية القديمة، زراع أرز، على الرغم من وجود ثروات كبيرة من الفحم تحت حقول الارز التي تغمرها المياه بينما الثانية اتجهت اتجاها أوروبيا صناعيا منذ منتصف القرن التاسع عشر بالرغم من أنها تستورد الفحم من الخارج وإن تحولت الاولى إلى الصناعة بعد عام 1987 وأصبحت عملاقا صناعيا بين القوى الكبرى.

ان مبدأ الاختيار لا يخضع إلا لمؤثرات اجتماعية يلخصها مبدأ انتشار الحضارة فالإنسان حيوان اجتماعي لا يعيش منفرداً ولا معنى لتجريده عن المجتمع وما ينبغي لنا أن نتحدث عن الانسان بل يجب أن نتحدث عن المجتمعات الانسانية التي تؤثر بعضها في البعض الآخر بطريق التقليد أو القهر والاجبار على اتباع أسلوب معين من الحياة، ولهذا تنتقل المؤثرات

الحضارية التي تفتح آفاق الاختيار من عناصر البيئة. فانتشار الزراعة أو انتشار استعمال المعدن يدفع بالمجتمعات التي تعلمت الزراعة أو استعمال المعدن إلى اختيار إمكانيات الزراعة أو المعدن من بيئتها واستغلالها، وتعلم فن جديد في أي ناحية من نواحي الاستغلال الاقتصادي للبيئة يوجه الأنظار إلى البحث عن إمكانيات هذا الفن في البيئة.

كما أن الاختيار يخضع للذوق الاجتماعي العام، الذي لا يكتسبه الفرد إلا من المجتمع فمثلاً تحريم الخمر في الاسلام أبعد المسلمين عن استغلال الكروم في صناعة الخمور في جزء كبير من حوض البحر المتوسط، وتحريم أكل الخنزير لم يشجع صناعة تربية هذا الحيوان في العالم الاسلامي، وتقديس البقر عند الهندوس، حرم الهند من استغلال مورد حيواني ضخم واعتناق شطر كبير من القبائل المغولية للديانة البوذية، وانتشار الرهبنة البوذية بينهم، قلل من تكاثرهم ومن ثم قلل من خطر زحفهم وانقضاضهم على البلاد الزراعية المجاورة في وسط آسيا.

إن المجتمع يتدخل بما يفرضه من تقاليد ومعتقدات وأساليب حياة بين الانسان والبيئة، وهذه جميعاً تحول اختيار الانسان لإمكانيات البيئة وتؤثر في المجتمعات البشرية في قدرات مختلفة، في مختلف الأقاليم في العالم، وبين ظروف البيئة الجغرافية بقدر ما يسعه توفر مادة البحث.وهكذا يصبح علم الجغرافيا الاجتماعية علما جغرافيا اجتماعيا انسانيا تاريخيا، وقد أفاض الأستاذ لوسيان فيفر في كتابه "المقدمة الجغرافية للتاريخ" في شرح أسلوب البحث الجغرافي، مستقلاً ومتميزاً عن أسلوب البحث الاجتماعي، ولكنه كان يدرك الحقيقة إدراكاً كاملاً بحيث يجعله لا يبخس الفرد حقه من التقدير، وبحيث يقدر مجهوده ومثابرته، يفضل ما وهب من عقل وقوة وتفكير، ويفضل ما أوتيه من نشاط تلقائي وذكاء خارق وقوة إرادة، ثم هو يبين أن هذا العقل هو الذي جعله حكما في قوة اختيار